نظرات اقتصادية في تفسير الآي القرآنية

التفسير الموضوعي

المخازن وسلاسل التوريد

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

4

KIE Publication

FREE EDITION
كتاب مجاني لايباع
NOT FOR SALE

المخازن وسلاسل التوريد

- الكون أنموذجا -

د . سامر مظهر قنطقجي

الطبعة ١.١ لعام ٢٠٢٢-٢٠٢٥

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا

الإسراء: ١٠٠

منشورات كاي

إن مطبوعات (كتاب الاقتصاد الإسلامي الالكتروني المجاني) تهدف إلى :

- تبني نشر مؤلفات علوم الاقتصاد الإسلامي في السوق العالمي؛ لتصبح متاحة للباحثين والمشتغلين في المجالين (البحثي والتطبيقي) .
- توفير المناهج الاقتصادية كافة للطلاب والباحثين بصبغة إسلامية متينة .
- أن النشر الالكتروني يعتبر أكثر فائدة من النشر الورقي .
- أن استخدام الورق مسيء للبيئة، ومنهك لمواردها .

واللهُ من وراء القصد .

رابط زيارة جامعة كاي KIE university

يمكنكم التواصل من خلال : www.kantakji.com

جامعة كاي

خيارك الأفضل لدراسة الاقتصاد الإسلامي وعلومه

https://kie.university

توضيح

إن كل ما ورد في الكتاب هو حقوق بحثية للمؤلف، ويعتبر ورقة بحثية من الأوراق البحثية لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية وجامعة كاي.

يسمح باستخدام هذ الكتاب كمنهج أكاديمي – كما هو منشور – مجانًا مع ضرورة المحافظة على حقوق المؤلف.

www.kantakji.com , www.kie.university

الإهداء

هذا كتاب أهديه إلى كل إنسان ينظر للكون بعين البصيرة، ويجعل العلم وموضوعيته أساس نظرته ومحاكمته، فإن اهتدى فهذا ما نبتغيه والأجر على الله، وإن أثار ذلك عنده حفيظة النقاش فهذه نتيجة موفقة ونحن لها جاهزون، وإن أعرَض فقد قمنا بما يتوجب علينا أمام الله عزّ وجلّ لأنه سائلنا عن علمنا ماذا فعلنا به؟ وعسانا بهذا المؤلف أن نكون قد شكرنا الله تعالى على بعض نَعمائه وآلائه.

اللهم اجعل ثواب عملي هذا في صحيفة والديّ وأهلي جميعهم،

والمسلمون جميعهم أهلي وأحبابي.

والله من وراء القصد.

المؤلف...

الفهرس

منشورات كاي ٤
توضيح ٦
الإهداء ٧
الفهرس ٨
المقدمة ١١
الفصل الأول - المخازن مستودعات ١٥
المبحث الأول - المخازن النامية المتحركة ١٦
المبحث الثاني - صفات الخازن ١٨
الحفظ والعلم ١٨
الحفظ أساس سلامة التخزين ٢٠
الالتزم بالنظام الداخلي ٢١
البيت مستودع والمرأة أمينته ٢٤
الجنة ٢٥
النار ٢٥
المبحث الثالث - الخزائن ٢٩
مفاتيح المخازن ٣١
المبحث الرابع - المخازن مصدر من مصادر الإنفاق ٣٦
الفصل الثاني - نماذج كونية للمخازن ٣٩
المبحث الأول - الأرض أنموذجا ٤٠
الأرض مستقر ٤٠

الاستخراج من الأرض ٤٢
الأرض مخزن للكنوز ٤٣
الأرض مخزن سابق ولاحق ٤٥
الجبال ٤٦
المبحث الثاني - السماء أنموذجا ٤٩
الحركة بين المخازن ٤٩
المبحث الثالث - الماء أنموذجا ٥٢
الغيوم والسحب ٥٢
الماء مُخزّن في ظاهر الأرض: كالبحار والأنهار ٥٤
حجز البحار لخزنها عن بعضها لاختلاف المواصفات ٥٦
السد ٥٧
الماء مُخزّن في باطن الأرض: كالعيون والآبار ٥٨
السفينة ٦٠
المبحث الرابع - النبات والشجر أنموذجا ٦٢
الشجر وثماره ٦٢
الغابات ٦٣
الزرع مصدر غذاء ٦٤
الزرع مصدر شراب ٦٥
الشجر طعام الحيوانات ٦٥
المبحث الخامس - الحيوانات أنموذجا ٦٧
الأنعام طعام ٦٧
الأنعام مصدر للبن ٦٨
الأنعام فيها مصادر الدفء ٦٨
النحل مصدر العسل وفيه شفاء ٦٩
الأسماك في البحار والأنهار ٧٠
المبحث السادس - الطعام أنموذجا ٧٢
حفظ الطعام خارج المألوف البشري ٧٢

مخزن السنبلة ٧٣
التغليف والتعبئة ٧٥
المبحث السابع - البيوت أنموذجا ٨٠
البيوت مخازن ٨٠
مخزن الكهف ٨١
الادخار في البيوت ٨٢
الادخار يكون لعون المدَّخر ولغيره ٨٣
تحقيق الحد الأدنى للإشباع ضرورة ٨٤
الاقتصاد في أكل الطعام ٨٦
المبحث الثامن - الإنسان أنموذجا ٨٨
مستودع الذاكرة ٨٩
مستودع الرحم ٩٢
مستودع النفس ومستقرها ٩٤
أنظمة التخزين في جسم الإنسان ٩٦
القبر ١٠٠
الفصل الثالث - القيمة كمستودع ١٠١
الورِق ١٠١
المال النقدي والسلعي ١٠٢
الذهب والفضة ١٠٢
الدينار والدرهم ١٠٣
البضاعة ١٠٤
الخاتمة ١٠٦

المقدمة

هيأ الله تعالى الأرض جميعها لعيش الناس فيها، فجعلها فراشًا تحتهم، وأظلّهم بسماء تكون لهم بناءً، وأنزل منها الماء الذي هو سرّ الحياة، وبه أُخرِج نبات الأرض ومنها، ومنه ثمرات يأكلها الخلق ويتغذون بها، وهو رزق يتملكونه وبه يتاجرون ويزرعون ويصنعون، ليقوموا في هذه الدنيا.

يقول تعالى: **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** (البقرة: ٢٢)، وأمام هذه الحقائق لا يحق لبشر أن يدّعي أن ذلك من عند غير الله، فهذا شرك به، وهذا ادّعاء باطل بالندية، فالله تعالى ليس له كفؤ أبداً.

بعد ذلك مكّن الله عزّ وجلّ الإنسان من الأرض، بما فيها وما في سمائها، وما بينهما من خلق، ليكون بأمره، وليكون سبيل عيشه وكسبه للرزق، فأخضع الكون جميعه له، يقول تعالى: **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ**

صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (الأعراف: ١٠-١١).

فكان الكون مَخزنًا كبيراً يتسع لخلق الله جميعهم؛ من بشر وحيوان ونبات وحجر وشجر، وتقسم هذه المخلوقات إلى قسمين: موارد بشرية وموارد مادية، أو أصول بشرية وأصول مادية، ولا يمكن فهم قضية الموارد إن لم تتم حيازتها ضمن حيّز معينّ؛ فالهواء أساس الحياة محبوس بين الأرض والسماء يمنع هروبه غلاف جوي يضمن سلامته ووفرته، والماء سرّ الحياة لأن الله أخبرنا أنه جعل منه كل شيء: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء: ٣٠)، ويحتاج الماء إلى مستودعات تضمه وتحتويه، فهو في السماء تحمله الغيوم والسحب ضمن تركيبة معينة لتنقله بأمر الله من مكان لآخر، والأرض بمكوناتها تحتاج الماء، وبذلك يتم نقله طازجًا طيبًا غدقًا إلى المستفيدين منه، فإن نزل؛ استلمته رؤوس الجبال ليكون فيها شلالات وروافد، ومنه ما يبقى في بطن الأرض مُخزّنًا كمياه جوفية لحين لزومه، ومنه ما يسير في سواقي وأحواض كبيرة تكون له مخزنًا متحركًا فلا يكون ماء آسنًا، وما يفيض عن الأنهار والروافد، يصب في بحيرات عملاقة ليعود ما يعود منه لمخازن المياه الجوفية، وما زاد

عن ذلك كله يصب في بحار ومحيطات هائلة السعة والتخزين، فتأتي الشمس على تلك المسطحات المائية بحرارتها لتجعل ماءها بخاراً يصعد للسماء لخفة وزنه فيتراكم ويعود غيومًا وسحابًا من جديد. وبسبب ضخامة البحار والمحيطات كانت مياهها مالحة بدرجات متعددة فجميعها مخازن حية لا يختلط بعضها ببعض لأنها فُصِلت بحواجز غير مرئية تمنع الاختلاط، يراها من يركب العلو، مياهًا متدرجة الألوان دون أن يطغى بعضها على بعض.

هذه المخازن هي مخازن حيّة لأن فيها أشكالا عديدة من الحياة النهرية والبحرية ولتحقيق عنصر الكفاءة فهي لا تفسد، وجميعها مُستغلٌ أفضل استغلال، فحوض البحر وعاء كبير يمثل مخزنًا للماء، وملحه يحفظه، ويحفظ ما فيه من أسماك وحيتان وغيرها مما لم يكتشفه الإنسان بعد؛ جُعلت كلها صالحة للأكل، كما تضم البحار والمحيطات اللآلئ والجواهر، بل إن فيها ما لا يعلمه إلا اللطيف الخبير.

تُبحر السفن والبواخر في البحار والأنهار لنقل الناس من مكان لآخر ولنقل بضائعهم وأغراضهم، فتضمن سلاسة سلاسل التوريد بين بقاع الأرض.

كما قدّر الله تعالى القرى وأماكنها لتكون محطات انتقال، يقول تعالى:

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا

السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (سبأ: ١٨). وشقّ بين الجبال فتحات يمكن جعلها طرقًا واسعة لتكون سبيلا وطريقًا يسلكونه، يقول تعالى: **وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** (الأنبياء: ٣١).

والمخازن الحية مفهوم لم يصل إليه الإنسان بعد، فالأرض والجبال والبحار وما فيها وما عليها جميعها صالح لحياة الناس، قد هيأ الخالق لكل منها ما يناسبه من سبل عيش رغيد كما يقول تعالى: **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**، فلولا أن سمح الله لنا بالتمكّن من هذه المخلوقات وإخضاعها لنا، لما كان ذلك، فالإنسان يكاد يكون أضعف مخلوقات الله تعالى.

الفصل الأول - المخازن مستودعات

لا يمكن تصور أي عملية إنتاجية دون مخازن، والمخازن تكون قبل العمليات الإنتاجية وخلالها وبعدها أيضًا، فالمواد الخام يتم تحضيرها وجلبها لخزنها بكميات مدروسة لتجهيزها للعمليات الإنتاجية لضمان عدم الانقطاع.

وكذلك الأمر خلال العمليات الإنتاجية؛ فعلى الرغم من أن التخطيط يبدأ من أضعف نقطة في العمليات التسلسلية، إلا أن اختناقات قد تحصل مهما بلغ التنظيم من الدقة، فتكون المخازن جزءا من الحل لصفوف الانتظار؛ فتوفير مخازن وسيطة للإنتاج المرحلي تضمن سلاسة التوريد.

فإذا انتهت عمليات التصنيع كان لابد من مخازن تستوعب البضاعة الجاهزة التي ستتوجه نحو الأسواق لبيعها، ويتم استخدام الأساليب الكمية من بحوث العمليات لضبط حجم ما هو موجود في المخازن ليكون متوازنًا بلا زيادة ولا نقصان، فالزيادة مؤداها ضعف عائد الاستثمار، والنقصان مؤداه أزمات إنتاجية وخلخلة في العمليات الإنتاجية.

وكل ما سبق جزء من سلاسل التوريد.

المبحث الأول - المخازن النامية المتحركة

يأكل الإنسان من خَشاش الأرض ومما تُنبته؛ فهي مخزنه ومصدره، وكل ما فيها من موارد مطعومة خلقها الله من مكونات يعلمها هو سبحانه، ولربما أعلم خلقه بمختلف أجناسهم؛ على ما فُطروا عليه، ثم ترك للإنسان الحرية في أن يأكل ما يراه مناسبًا حسب اجتهاده، أما غيره من الكائنات فلا تأكل إلا ما فطرت عليه، فالحصان لا يأكل إلا الحشائش لأنها فطرت عليها، وكذلك النمل والذباب والبعوض والحيتان وكل الكائنات من غير البشر.

لقد أعلم الله مَعدة البشر وأمَعاءهم ماهية مكونات ومركبات كل ما تنتجه الأرض، فهي تستطيع تحليل وتفكيك الطعام والشراب وامتصاص ما تم تفكيكه وتوصيله للأجهزة المستهدفة. وبما أن الإنسان مُخيّر فقد ترك له أن يقوم بتجهيز أطعمته ويُصنّعها حسبما يرتئيه، فإذا كانت مركبة ومعقدة، اضطرت الأجهزة الهضمية إلى تفكيكها ثم تحليلها ثم امتصاصها وهذا سيحتاج منها وقتًا وجهداً أكبر، وما لم تفلح بمعالجته، طرحته خارج الجسم.

ذكر الشعراوي رحمه الله أن رَوث الحيوانات يُستفاد منه كسماد، لأنها لا تأكل إلا ما فُطرت عليه، بينما مُخرجات الإنسان مؤذية لما تحتويه من

مكونات ناتجة عن تعقيد مدخلات طعامه وشرابه. لذلك لما أصاب البقر الجنون؛ كان ذلك بسبب تلاعب بعض البشر بطعامه؛ فطحنوا لها المخلفات الحيوانية وجعلوها علفًا؛ فأصابها ما أصابها من جنون.

إن مفهوم المخازن في الكون هي أنها مخازن نامية مغلة كالنبات والحيوان، فشجر الليمون مخزن نامٍ ومغلٍ سواء تدخل في زرعه الإنسان أم لم يتدخل، والخروف مخزن للحوم والصوف واللبن وغير ذلك من المنتجات، ويتميز الحيوان عن النبات بكونه متحركًا، وتبقى هذه المخازن على ماهيتها، حتى يتم قطافها أو ذبحها وأكلها، ولربما تم تحويلها إلى أشكال أخرى قابلة للخزن ريثما تصل إلى مستهلكيها النهائيين.

المبحث الثاني - صفات الخازن

الخازن هو المسؤول عن المستودع أو المخزن وهو أمينه والمسؤول عنه. جاءت صفاته في عدة آيات وعدة أحاديث تُستقى منها الصفات.

الحفظ والعلم

الخازن حسب وصف نبي الله يوسف عليه السلام عندما قدم سيرته الذاتية لفرعون مصر ليكون عليها حاكمًا؛ كانت أنه **حفيظ وعليم**.

والحفظ تأتي بمعنى القدرة على حفظ العلوم والسجلات الدالة على العمل، وتأتي بمعنى القدرة على المحافظة على المخازن ومحتوياتها حسبما تمليه أصول التخزين بما يحافظ على محتوياته، وسنذكر تلك التقنيات التي استخدمها نبي الله يوسف عليه السلام لاحقًا.

أما الأمانة فهي صفة لازمة لا غنى عنها؛ فكيف يؤتمن من كانت صفته الخيانة على خزائن تحوي أصولاً ذات قيمة وذات أهمية؟. يقول تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام في سورة يوسف:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (**الخازِنُ الأمِينُ، الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طَيِّبَةً نَفْسُهُ، أحَدُ المُتَصَدِّقِينَ**)[1]؛ أي أن الخازن المتحلي بصفة الأمانة ملتزم بنظام عمله لا يخرج عنه، مما يضمن سلامة سلاسل التوريد التي فيها الخزن مرحلة مهمة، والصرف منه لأصحاب المصلحة جزء آخر من تلك السلاسل. وبما أن الأخلاق الحسنة ملاصقة لكل شيء ومنها العمل الذي يؤديه العامل، فقد أتبعه صلى الله عليه وسلم بطيبة النفس فلا يؤديه بوقاحة ولا بقلة ذوق ولا باحتقار، بل يؤديه بابتسامة تعلو وجهه وكلمة طيبة تخرج من فمه.

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**الخازِنُ المُسْلِمُ الأمِينُ، الذي يُنْفِذُ – وربَّما قالَ: يُعْطِي – ما أُمِرَ به كامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبًا به نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إلى الذي أُمِرَ له به أحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ**)[2].

وزاد صلى الله عليه وسلم التخصيص للخازن المسلم بأنه يدفع ما أُمر بصرفه من المخزن كاملا غير منقوص لتبلغ الأمانة منتهاها، وزاد عليه بأن

[1] صحيح البخاري.
[2] صحيح البخاري.

مهمته الدفع والتسليم للمستحق، فضلا عن الخُلق الطيب الذي جاء في الحديث السابق.

الحفظ أساس سلامة التخزين

يقول تعالى عن منع مردة الشياطين من الاستماع والتجسس للملأ الأعلى من الملائكة الكرام في سورة الصافات:

وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

فالسماء حُرست من كل شيطان مارد، فإذا حاولت الشياطين أن تستمع، قُذفت بالشهب الثواقب طرداً لهم، وإبعاداً عن استماع ما يقوله الملأ الأعلى من الملائكة الكرام[1].

لذلك فإن للسماء مهامًا عديدة، منها العزل والفصل، لسلامة الحفظ، قال عزّ وجلّ في سورة فصلت:

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

[1] تفسير السعدي.

الالتزم بالنظام الداخلي

يُضاف إلى مهام الخازن، **التبديل**، فإذا جاءه من يطلب ذلك فعليه أن يتحرّى الأموال الربوية لينجوَ الخازن والمخزن كلاهما من الربا، فقد روى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّهُ التمس صرفًا بمائةِ دينارٍ، قالَ: فدعاني طَلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فتراوَضنا حتَّى اصطرفَ منِّي وأخذَ الذَّهبَ يقلِّبُها في يدِهِ، ثمَّ قالَ: حتَّى يأتيَ خازني منَ الغابةِ، أو حتَّى تأتيَ خَزنتي من الغابَةِ، وعمرُ بنُ الخطَّابِ يسمَعُ فقالَ عمرُ: لا واللَّهِ لا تُفارقُهُ حتَّى تأخذَ منهُ، ثمَّ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: (**الذَّهبُ بالوَرِقِ ربًا إلَّا هاءَ وَهاءَ، ، والبرُّ بالبرِّ ربًا إلَّا هاءَ وَهاءَ والتَّمرُ بالتَّمرِ ربًا إلَّا هاءَ وَهاءَ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ ربًا إلَّا هاءَ وَهاءَ**)[1] .

يستدل من هذا أن رقابة آمر الصرف – وهو الخليفة – تبقى ملازمة لحُسن تطبيق التعليمات وسلامته من أي شائبة أو شبهة.

روى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أن عمر رضي الله عنه كان يُخيفُ النَّاسَ في اللهِ، فيقول: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

[1] المحدث: الإمام الشافعي في كتابه الأم.

يقولُ: (**إنَّما أنا خازنٌ فمَن أعطَيْتُه عن طِيبِ نفسٍ يُبارَكُ له فيه ومَن أعطَيْتُه عن مسألةٍ وعن شَرَهٍ كان كالَّذي يأكُلُ ولا يشبَعُ**)[1].

فالخليفة حسب وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خازن أمين، لذلك هو فرّق في العطية بين مستحق للعطاء وبين طامع، أو سائل لمجرد السؤال، فكان وصفه بأنه نَهم، فصاحب الحاجة يكفي حاجته، أم النهم السؤول فليس له من حاجة بل يطلب المزيد ليروي طمعًا فلا يصل لحد الإشباع، وهذا فيه سرفٌ مؤداه سوء توزيع للموارد وتخصيص غير ذي نفع، وكذلك مؤداه إحداث تضخم في الاقتصاد الكلي.

إذًا الخازن ملتزم بالنظام الداخلي الذي يخضع له مخزنه ولا يتصرف من عنده، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (**ما أُوتيكُمْ مِنْ شيءٍ وما أَمْنَعُكُموهُ، إنْ أنا إلَّا خازنٌ أضعُ حيثُ أُمِرْتُ**)[2]. أما عن سوء المنصِرف له، فذاك يُقوِّم سلوكه الوازع والوعيد كما مرّ في الحديث السابق.

ولا يجدر بالخازن إلا أن يوزع بالعدل، وأن يلتزم الأوامر والتعليمات المعطاة له، فالعطاء أساسه موضوعي وليس جزافي بلا أسس تحكمه، وقد

[1] صحيح ابن حبان.
[2] حديث صحيح، مسند أبي داود.

جعل الفاروق عمر رضي الله عنه سُلَّمًا يمثل نظامًا دقيقًا يستند إليه أمين المستودع وعلى ذلك كانت القسمة والتوزيع.

ولّما أسند عمر رضي الله عنه أمانة المخزن لخالدٍ رضي الله عنه، وخالف خالد تعليمات آمر الصرف، كان مصيره العزل رغم رِفعة مقامه، وتم إسناد الأمر لأبي عبيدة رضي الله عنه.

سمِعتُ عمرَ رضِي اللّٰهُ عنه يقولُ يومَ الجابيةِ وهو يخطبُ: إنَّ اللّٰهَ جعلني خازنَ هذا المالِ وقاسمَه ثمَّ قال: بل اللّٰهُ قسَمه، وأنا بادئٌ بأهلِ النَّبيِّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم ثمَّ أشرفِهم، فقسَمَ لأزواجِ النَّبيِّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم عشرةَ آلافٍ إلَّا جويريةَ وصفيَّةَ وميمونةَ ومارية، فقالت عائشةُ: إنَّ رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم كان بيننا فعدل عمرُ بينهنَّ، ثمَّ فرض لأصحابِ بدرٍ المهاجرين خمسةَ آلافٍ، ولمن شهِدها من غيرِ المهاجرين أربعةَ آلافٍ، ولمن شهِد أُحُدًا ثلاثةَ آلافٍ، وقال: من أبطأ في الهجرةِ أبطأ عنه العطاءُ فلا يلومنَّ رجلٌ إلَّا مُناخَ راحلتِه، وإنِّي أعتذرُ إليكم من خالدِ بنِ الوليدِ إنِّي أمرتُه أن يحبِسَ هذا المالَ على ضعَفةِ المهاجرين فأعطاه ذا الشَّرَفِ وذا اللِّسانِ فنزعتُه وأمَّرتُ أبا عبيدةَ[1].

[1] ابن كثير، مسند الفاروق، راوه ناشرة بن سمي اليزني.

البيت مستودع والمرأة أمينته

تعتبر المرأة أمينة بيتها وسرّه، والبيت هو مستودع العائلة ومكان إقامتها وعيشها، وفيه توضع سبل العيش. ويحق للمرأة بوصفها أمينة المستودع أجراً تصرفه لنفسها وهذا تفويض يليق بمقامها الإنساني فهي آمرة الصرف وهي التي تصرف حتى لنفسها، وعليه يُقاس ما للخازن من حقوق، فالأجر واجب وعدالته منوطة بعدم الإفساد ضمن ما تقتضيه الأصول والأعراف، وبذلك على مجلس الإدارة والتنفيذيين – بوصفهم خزنة الشركة وأمناؤها – أن يلتزموا ما يحددونه لأنفسهم، حتى لو كان فعلهم منوط بموافقة الهيئة العامة؛ فغالبا ما يكون تصويت الهيئة العامة شكلي أو دون حُسن تقدير منهم. ويلاحظ أن الأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨ كان أحد أسبابها تعويضات مجالس الإدارة والإدارات التنفيذية، حيث بلغ السيل الزبى[١].

روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: (**إذا أنفقتِ المرأةُ من بيت زوجِها غيرَ مُفسدةٍ كان لها أجرُها بما أنفقَت، ولزَوْجِها أجرُه بما كسب، وللخازنِ مثلُ ذلك لا ينقُصُ بعضُهم من أجرِ بعضٍ شيئًا**)[٢].

[١] موقع موضوع: معنى بلغ السيلُ الزُّبَى: «هي جمع زُبْيَة، وهي حُفرةٌ تُحْفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفًا مُجحفًا.

[٢] صحيح مسلم

الجنة

الجنة هي المكان الذي جهزه الله تعالى لعباده الصالحين لحياة أبدية، حيث لا تعب ولا جهد بل نعيم وسعادة، جهزها الله تعالى بكل ما فيه راحة لساكنيها بما لم يخطر على بال بشر ولا عين رأته، روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**)[1]. وللجنة أبواب، روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**).

النار

النار هي المكان الذي جهزه الله تعالى لعباده الطالحين الفاسدين لحياة أبدية، حيث التعب والنَكال وما يشقُّ على الأنفس بصنوف العذاب، يقول تعالى في سورة الملك:

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾

وللنار أبواب مصفدة، يقول تعالى في سورة الزمر:

[1] صحيح البخاري

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

ويقول تعالى في سورة الهمزة عن الكافرين الذين يَصْلون النار بأنها عليهم مغلقة:

إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

إذًا هي مستودع بأبواب مقفولة بأعمدة ممددة لا يستطيع من فيها الخروج، وفيها أصناف العذاب الشديد والأليم والعظيم وذلك لمن عصى الله تعالى وكفر به وأشرك.

خزنة النار: نار جهنم هي مستودع من العذاب لمن يستحقونه عليها سبعة أبواب وعلى كل باب حرس من الملائكة. وعندما يَفتح خزنة نار جهنم الباب لروادها المستحقين لها، يزجرونهم على هذا المصير الذي أوصلوا أنفسهم إليه، وتقول لهم: كيف تعصون الله وتجحدون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلاً منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذِّرونكم أهوال هذا اليوم؟ فيجيبون وهم مُقرِّين معترفين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذَّرونا من هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به[1]، يقول تعالى في سورة الزمر:

[1] التفسير الميسر.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴿٧١﴾

ويقول تعالى في سورة الملك:

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾

ويبدو أن الحوار لا يتوقف ضمن هذا المستودع، حيث يحاور سكان النار أمناءها، فيطلبون مستغيثين صرف بعض الموارد من الإله العزيز، يقول تعالى في سورة غافر:

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

وبناء على ما سبق، تتلخص صفات الخازن بالآتي:

١. حفيظ.

٢. عليم.

٣. ملتزم بتعليمات ولي الأمر ويخضع لرقابته.

٤. ملتزم بالنظام.

٥. يُحسن تطبيق التعليمات، ويأمن سلامة التطبيق من أي شائبة أو شبهة.

٦. طيب النفس مع من يتعامل معهم.

٧. غير مفسد.

٨. متحرٍ للحلال في عمله.

وهذا ما يُستفاد منه في تطبيقات البشر لإدارة مخازنهم واختيار العاملين فيها.

المبحث الثالث - الخزائن

إن لله خزائن لا يعلمها إلا هو، ولا يعلم محتواها إلا هو، وقد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُخبر الكافرين؛ بأنه كنبي مختار لا يملك خزائن الله تعالى، ولا يعلم الغيب، يقول تعالى في سورة الأنعام:

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠

وأعلمنا المولى عز وجلّ بأن عنده خزائن لكل شيء، وأن الصرف من تلك الخزائن يكون بقدرٍ يُقدّره الله تعالى بحكمته وقدرته، يقول تعالى في سورة الحجر:

وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢

وخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ليقول للمشركين[1]: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد إذًا لبخلتم بها، فلم تعطوا منها غيركم خوفًا مِن نفادها فتصبحوا فقراء، ومن شأن الإنسان أنه بخيل بما في يده إلا مَن عصمه الله بالإيمان، يقول تعالى في سورة الإسراء:

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠

إذًا لا يملك خزائن الله إلا هو سبحانه جل في عُلاه، فغيره ليس عندهم خزائن كخزائن الله يتصرفون فيها، وهم ليسوا جبابرة متسلطين على خلق الله بالقهر والغلبة، بل هم العاجزون الضعفاء[2]، يقول تعالى في سورة الطور:

أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧

[1] التفسير الميسر
[2] التفسير الميسر

مفاتيح المخازن

بناء على ما سبق، وبرهانًا عليه، وحيث أن لكل مخزن مفاتحه، وبما أن المالك هو الذي يحوز المفاتيح، فإن مفاتيح السماوات والأرض هي بيد الله تعالى، فهو الرازق. يقول تعالى في سورة الشورى:

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

فمقاليد الحكم، سُلُطَاتُهُ، وزِمَامُهُ، والمراد: مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما[1].

وعادة ما تُطرق أبواب خزائن الله بالدعاء والزكاة وما شابهها من فعل الخيرات لفتحها، ومن ذلك:

١- إقامة كتاب الله تعالى والعمل به على الشكل الذي أراده الله، لقوله تعالى في سور المائدة:

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

[1] قاموس المعاني

٢- الإيمان والتقوى، لقوله تعالى في سورة الأعراف:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

٣- الدعاء والتضرع إلى الله لرفع البأس والضرِّ، لقوله تعالى في سورة الأنعام:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٤- الاستغفار، لقوله تعالى في سورة هود:

وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

٥- دفع الزكاة، قال صلى الله عليه وسلم: (**ولم يَمنعوا زكاةَ أموالِهم إلَّا مُنعوا القَطْرَ من السَّماءِ ولولا البهائمُ لم يُمطَروا**)[١].

أما الذنوب والعصيان فهي أدوات لغلق خزائن الله تعالى:

[١] الترغيب والترهيب

١– إذا نسي الإنسان فَضْل خالقه، جاءه من ربه الامتحان، يقول تعالى في سورة الأنعام:

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٢– إذا أذنب الإنسان، ابتلي بالإهلاك والاستبدال، يقول تعالى في سورة الأنعام:

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

إن حكمة الله تعالى شاءت ببسط الرزق حسب تقديره سبحانه وتعالى لكل دابة من دواب الأرض بقَدرٍ وضعه هو، ويعلمه هو، يقول تعالى في سورة الشورى:

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

يُنظر الشكل التالي: نموذجنا الرياضي للاقتصاد الإسلامي[1].

[1] للمؤلف، فقه المعاملات الرياضي، ٢٠٢١٢-٢٠١٨، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، www.kantakji.com.

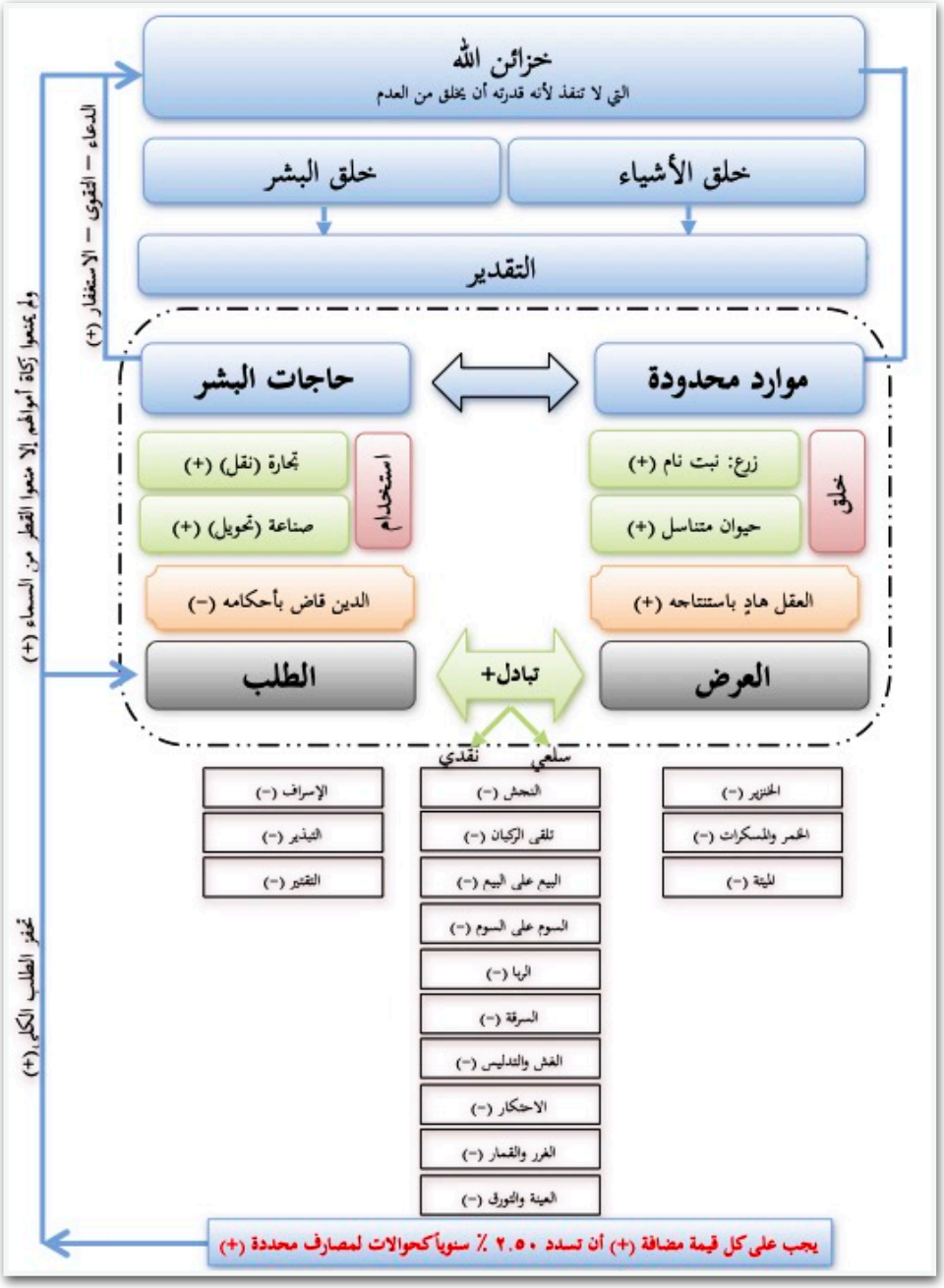

نموذج الاقتصاد الإسلامي الرياضي – المصدر: كتاب فقه المعاملات الرياضي، للمؤلف

المبحث الرابع - المخازن مصدر من مصادر الإنفاق

تعدُّ المخازن مرحلة أساسية من سلاسل التوريد، تطور مفهومها من خلال توزيع الشركات والدول لمخازنها في مختلف البلدان لتسهيل عمليات التصنيع والاستلام والتسليم، بل تم إدخال جزء من عمليات التجميع للمخازن لتبدو كمصانع. ساعد كل ذلك في إضفاء المرونة لعمليات الإنتاج والتوزيع، وهذا ما يولّد الميزة التنافسية.

يتملك الأفراد والشركات والدول مخازن تستخدم لتخزين المواد والسلع، ولصرف تلك المخزونات منها أيضًا. لذلك تعتبر محتويات المخازن أموالاً مختزنة، منها المخازن التشغيلية ومنها الاستراتيجية، تؤمن التشغيلية سلاسة حركة المواد الأولية المنصرفة للإنتاج، وتؤمن سلاسة حركة السلع الجاهزة لاستقرار المبيعات في السوق، لأن غياب منتجات أي مورد عن السوق يحقق لغيره من الموردين فرصة تسمح لهم ولوج السوق، وربما إزاحته وإخراجه مؤقتًا أو بشكل دائم. والشيء ذاته يُقال عن الاستراتيجية إلا أن ما فيها يُخزن لفترات طويلة لمقابلة التغيرات الاستراتيجية واستيعابها ومثالها المخزون الاستراتيجي الأمريكي من النفط، حيث تستخدمه الولايات المتحدة لتخفيف حدة التقلبات السوقية عند تخلخل

الإنتاج أو عند ارتفاع الأسعار ريثما تعيد سيطرتها على سوق النفط لتنجو من أية أضرار ممكنة.

ولله تعالى خزائن أيضًا (وله المثل الأعلى)، لو ملكها الإنسان لربما توقف أو أمسك عن الصرف خشية الإنفاق، فمحاسبة المخازن تعتمد على الوارد إليها والصادر منها، وبينهما رصيد متبقي في المخازن، فإذا تم إخراج ما فيها دون إحلال غيرَه مكانه فذلك يعني إفلاس المخازن من محتوياتها، لذلك تقوم الشركات والتجار عادة بضبط المنصرف إذا حلّت أزمة في البلاد أو شارفت على أزمة متوقع حصولها، وهذا تقتير يليق بالإنسان لعجزه وضعف حيلته، أما عند الله تعالى فلا عجز ولا نقص لأنه حكيم بتقديره، كما أنه يخلق من العَدَم. يقول تعالى في سورة الإسراء واصفًا ذلك:

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠

ويتناسب الإنفاق – عادة – مع سَعَة المنفق، وتعدُّ المخازن توسعًا لمن يملكها، وامتدادًا لما يملكه، يقول تعالى في سورة الطلاق:

لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧

ويُبنى الإنفاق عادة على الإيراد المكتسب، وهذا مبدأ من مبادئ الموازنات، فالأصل أن ينفق المرء مما ملك، وإلا فهو ينفق مما اقترض، وهذا يُعرضه لمخاطر العجز عن السداد. وقد جاءت الآية المذكورة بعد آية الإنفاق على الزوجة الحامل والمرضع، فمن ملك وعنده سَعة فلينفق حسب سعته، والمخازن – بما فيها – امتداد وتعبير عن تلك السَعة، سواء أكانت مخازن عينية أم مادية، أما من ضُيّق عليه فلينفق حسب ما يأتيه من إيراد دون تكلّف.

الفصل الثاني - نماذج كونية للمخازن

إن كل ما في الكون هو أشبه بمخازن لها مهمة تؤديها حتى يرث الله الأرض وما عليها، كالجبال والأرض والسماء والماء والنبات والشجر والحيوان، وحتى الإنسان وأعضاؤه هي أمثلة حية للمخازن.

المبحث الأول - الأرض أنموذجا

لقد أعدَّ الله هذه الأرض لسكنى بني البشر، وزُوّدت بأنظمة تخزينية متنوعة لكفاية البشر ما داموا عليها حسبما قدّر الله تعالى ذلك. فالأرض مخزن مزود بنظام: تدفئة كالشمس، وتهوية كالرياح، وتعقيم كالشمس والملح والشجر، وإنارة كالشمس والقمر.

وتعددت أساليب تخزين المواد في باطنها وعليها؛ كالماء، والمعادن، والتراب والرمال وغير ذلك كثير مما لا يتسع عدُّه وإحصاؤه.

الأرض مستقر

جُعلت الأرض مستقراً للناس وباقي المخلوقات، يعيشون عليها لحين من الدهر، ثم ينقضي أمرها، فهي مستودع للمخلوقات جميعهم يعيشون فيها ويستقرون. يقول تعالى في سورة البقرة:

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ

﴿٣٦﴾

وعليه فالأرض مستودع حي، وعناصره متحركة حركة ذاتية، تتوالد وتتحرك بحركة مرسومة موحى لها، ثم تندثر وتتآكل، وقد خلق الله تعالى تقنيات لتنظيف هذا المستودع وكنسه بحيث يبقيه متوازنًا. ومثال ذلك، الحيوان القمَّام أو آكل الجيف هو حيوان يتغذى بصفة دائمة أو مؤقتة على الكائنات الميتة والتي بدأت تتحلل ومنها الضبع والخنزير وغيرها. ويُطلق على هذه الكائنات اسم المنظف أو الزبال لما لهذا الفعل من تنظيف للبيئة والحفاظ عليها.

وكذلك النسور التي تدعى زبّال الطبيعة لأنها تمنع انتشار الأوبئة وتنظف البيئة. وكذلك السمك الكنّاس التي تنتمي لعائلة سمك السلور. والأمثلة كثيرة لا حصر لها.

إن أغلب ما في الأرض يُصنَّع ويموت فيها. يستثنى من ذلك بعض الأشياء التي نعلمها وأشياء لا نعلمها، فالحديد مثلاً جاء به الله عزّ وجلّ من خارج الكرة الأرضية كما أخبرنا في كتابه العزيز، ليكون مستودعه الأرض للاستخدام البشري، يقول تعالى في سورة الحديد:

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢٥﴾

وخُبِّئت المعادن في باطن الأرض، وهي يُعاد استعمالها باستمرار دون تلف مهما استخدمت ومهما تحولت، وهذا يضمن إعادة التدوير دون بقايا مؤذية لبيئة مخزن الأرض.

الاستخراج من الأرض

يَخرج من الأرض نباتات وأشجار يستفيد منها الإنسان لطعامه وطعام حيواناته، كما تُستزرع بفعل الإنسان وتدبيره لتحسين مخرجاتها وزيادة نفعها.

ومخزن الأرض فيه كنوز يمكن للإنسان أن يتملكه وأن ينفق منه، يقول تعالى في سورة البقرة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

ويستثنى من ذلك الخبيثَ الذي يضرّ ولا ينفع وقد فُصّل ذلك تفصيلاً.

وقد طُلب من نبي الله موسى عليه السلام أن يسأل ربه، أن يُنبت للناس ما يأكلونه من بقل وقثاء وفوم وعدس وبصل. يقول تعالى في سورة البقرة:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

وهذا مفهوم من مفاهيم المخازن المتحركة، فالأرض مخزن تنتج تربته الطعام والأكل بمختلف أشكاله وألوانه ومذاقه لدواب الأرض جميعهم مع أن التراب واحد والماء واحد، كما يستفيد الجو وغيره من الكائنات من ذلك.

الأرض مخزن للكنوز

يُعدُّ باطن الأرض مخزنًا، فيه يمكن تخبئة وخزن الأشياء الثمينة وغير الثمينة، وقد أشار القرآن الكريم في سورة الكهف لذلك على لسان الرجل الصالح:

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

أما سطح الأرض فقد مكّن الله الإنسان منه وجعله أساس عيشه وجعل سطحه وبطنه وماءه وجَبَله وسماءه أسباب ذلك العيش، يقول تعالى في سورة الأعراف:

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

فكيف تكون الأرض مخزنًا حيويًا متحركًا؟

لقد خلق الله سبع أرضين وأحاط بكل شيء علمًا، يقول تعالى في سورة الطلاق:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

وبعد أن مدَّ الله تعالى الأرض وسواها، جعل فيها الجبال والأنهار والبحار ومن كل الثمرات كالأعناب والنخيل المختلفة والمتنوعة، والإعجاز في ذلك، بأنها تُسقى من ماء واحد رغم ما فيها من اختلاف في اللون والطعم والنفع، وفي هذا التنوع مصادر رزق للناس. يقول تعالى في سورة الرعد:

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

الأرض مخزن سابق ولاحق

لقد خلق الله الإنسان من ماء وتراب وكلاهما من مكونات الأرض، وبعد موته يُقبر في باطنها ليعود إليها كما أنشأه خالقه، وقد أعلمنا الله تعالى أنه سيُخرج الناس من أجداثهم لاحقا يوم الحشر بإذنه تعالى.

إذًا الأرض مخزن للبشر ولكافة مخلوقات الله، يقول تعالى في سورة طه:

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

الجبال

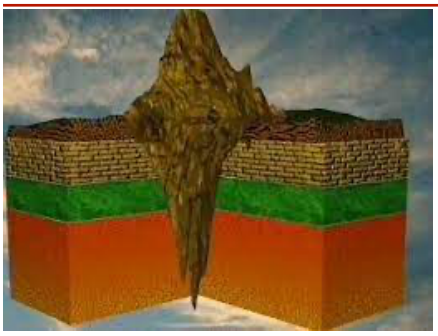

الجبال أوتاد خلقها المولى عز وجل لتثبيت قشرة الكرة الأرضية ولأهداف أخرى ولكل منها وتد يمتد في باطن الأرض لأكثر من ثلاثة أضعاف الجزء البارز منه على سطح الأرض.

والجبال مخازن للحجارة ومشتقاتها، وتضم الماء الذي يهبط عليها، يقول تعالى في سورة البقرة:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

وجعلها الله ألوانًا فكانت مخازن ملونة؛ ليستخرج منها الإنسان الحجارة الملونة والرخام وما شابهه، يقول تعالى في سورة فاطر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

كما مكّن الله الإنسان من نحت الجبال واتخاذها بيوتًا، والبيوت مخازن للناس يسكنونها ويعيشون فيها آمنين وفارهين، يقول تعالى في سورة الشعراء:

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾

ويقول تعالى في سورة الحجر:

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾

وهذا ليس حِكرًا على بني البشر، بل حتى لغيره من المخلوقات كالنحل كما أخبرنا الله تعالى عن ذلك في سورة النحل:

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

وجعل الله في الجبال مغارات يلجأ

إليها الناس عند الحاجة، يقول تعالى في سورة النحل:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

وجعل للجبال سفوحًا وسهولاً يُستفاد منها في الزراعة والسياحة والسكن المريح أيضًا، يقول تعالى في سورة الأعراف:

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

إن ما تم ذكره هو بعض مكنونات الأرض وخباياها التي لم يصل العلم بقدراته إلا إلى شيء بسيط منه، يقدرها البعض بأقل من ٢٠٪.

المبحث الثاني - السماء أنموذجا

السماء، أو القبة السماوية، هي كل ما يقع فوق سطح الأرض، بما في ذلك الغلاف الجوي، والفضاء الخارجي. وهي مثال للمخازن ولسلاسل التوريد، بأشكال عدة.

الحركة بين المخازن

خلق الله السماء بلا عمد، ودون فروج فيها، فكانت سقفًا لمخزن الأرض تحميه وتحافظ عليه وعلى محتوياته، يقول تعالى في سورة الأنبياء:

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

وخلق الله تعالى الليل والنهار، ليسكن من يسكن في الليل من أهل الأرض وينشط من ينشط فيها، وجعل الشمس والقمر آيتين دالتين على الليل والنهار، وجعلهما أداتين حسابيتين تساعدان في معرفة الأشهر والسنين ليستدل أهل الأرض على حساب الزمن الذي هم فيه يعيشون، يقول تعالى في سورة الأنبياء:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

وخلق في السماء البرق والرعد ليكونا آيتين دالتين، فشرارة البرق تعمل بما تحمله من طاقة وحرارة على زيادة الأوزون في الهواء، بتحويل الأكسجين في الهواء إلى أوزون، وهذا ما يُفسر حالة الانتعاش التي نشعُر بها عند الخروج عقب حدوث البرق. ويتشكّل البرق أثناء العواصف الرعدية؛ إذ إنّ الرعد هو صوت موجة الصدمة الناتجة عن ازدياد الضغط المفاجئ للجزيئات الغازية. عندما يكون التفريغ الكهربائي شديداً بين السحاب وبين جسم مشحون على الأرض يسمّى البرق والرعد المصاحب له حينها بالصاعقة.

والسحاب هو مخزن معلق في السماء يحمل كميات كبيرة من الماء تنزل إلى مخزن الأرض على شكل مطر أو بَرَد أو ما شابهه، لتسكن في مخازن الجبال ومخازن البحار ومخازن الأنهار وباطن الأرض على شكل ينابيع. يقول تعالى في سورة الرعد:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ

وتقوم الرياح بتحريك السحاب الثقيل من مكان لآخر لتحيا الأرض بمائه ولتشرب المخلوقات منه. يقول تعالى في سورة الحجر:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

لذلك فماء السماء ماء سقيا للمخلوقات، ورغم تلك الأهمية المصيرية فليس للناس قدرة على تخزينه بل الله هو القادر على خزنه ونقله، فيجعله ماءً جاريًا يسكن مجاري الأنهار والبحار ويجعل بعضه ضمن باطن الأرض كآبار وينابيع، ولولا فضل الله تعالى لذهب هذا المورد المائي، يقول تعالى في سورة المؤمنون:

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

المبحث الثالث - الماء أنموذجا

الماء هو العنصر الأهم في هذه الحياة، ولأهميته يقول تعالى عنه في سورة الأنبياء:

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿٣٠﴾

لذلك جعل الله سطح الكرة الأرضية أغلبه ماء، ويقدر بأنه يغطي ٧١٪ من مساحة الأرض، والنسبة نفسها أو أكثر من جسم الإنسان هي من الماء، ويقدر الماء غير الصالح للشرب بنحو ٩٧٪، ويتم تخزين أكثر من ٢٪ من مياه العالم في الأنهار والجبال الجليدية، وهي صالحة للشرب لكن يصعب استخراجها[١]، وتبدو كمخازن لوقت الحاجة إليها.

الغيوم والسحب

يسوق الله تعالى السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكمًا، فيصير مخزنًا كبيرًا للماء، فينزل مِن بينه المطر، وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته بَرَدًا، فيصيب به مَن يشاء من عباده ويصرفه عمَّن يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره[٢].

[١] ويكيبيديا
[٢] التفسير الميسر، بتصرف.

إذًا هي عملية إنتاجية تحصل ضمن فضاء السماء، وصولاً إلى المنتج النهائي وهو المطر والبَرَد. يقول تعالى في سورة النور:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

هذا المنتج المحوّل من مخزن السماء إلى مخزن الأرض – دون تدخل من أحد – له مهمة، فهو مرحلة تلقائية (مؤتمتة بالكامل)، ومكان نزوله سرعان ما يتحول إلى حياة فتحيا به البلدة التي تتلقاه، فتنتعش تربته، وتُخرج خيرات يأكل منها الناس وحيواناتهم. يقول تعالى في سورة الأعراف:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

والرياح ليست مهمتها محصورة في فضاء السماء، بل على سطح الأرض لها مهام أيضًا، منها تلقيح الشجر، ومنها ذري النبات ونسفه لفصل محتوياته عن بعضها، وكذا يفعل المزارعون والفلاحون في ذري منتجاتهم لعزل البذار عن غيره. يقول تعالى في سورة الكهف:

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

الماء مُخزّن في ظاهر الأرض: كالبحار والأنهار

القطبان المتجمدان الشمالي والجنوبي هي مخازن مائية مجمدة لحين لزومها، تبلغ مساحة المحيط القطبي الشمالي وهو أصغر المحيطات في العالم، نحو ١٥ مليون كم^2، أما المحيط القطبي الجنوبي فيعدُّ رابع أكبر محيط في العالم ومساحته حوالي ١٤.٢ مليون كم^2.

ويعيش ضمن هذين المحيطين ثروات حيوانية ونباتية خاصة بهما كما يُتوقع أن فيهما ثروات باطنية كبيرة ومتنوعة من النفط والغاز وغيرهما.

وكل ذلك ثروات مخزونة فيهما، لذلك هما مخازن عظيمة، حية وحيوية وليست جمادات ثابتة.

استنتج علماء من بيانات مركبة "إنسايت" وجود خزان كبير من الماء السائل تحت أرض المريخ.
والماء المكتشف محاصر في صخور عميقة تتراوح بين ١١.٥ إلى ٢٠ كيلومترًا تحت سطح المريخ. وتم تحديد المياه باستخدام تقنيات رسم الجيولوجيين لخرائط طبقات المياه الجوفية وحقول النفط على المريخ. ويعزز وجود الماء احتمال وجود حياة ميكروبية على المريخ.
المصدر (مجلة FORBES MIDDLE EAST) ١٤-٨-٢٠٢٤

المحيطات والبحار:

يطلق عبارة البحر على أي تجمع كبير للمياه المالحة الذي يتصل بالمحيط أو على البحيرات المالحة غير المتصلة ببحار أو محيطات أخرى كبحر قزوين والبحر الميت.

تعيش الناس على كوكب أزرق، مليء بالمحيطات والبحار تغطي أكثر من ٧٠٪ من سطح الأرض. وتزود المحيطات الناس وحيواناتهم بالغذاء، وتنظم المناخ، وتولد معظم الأكسجين الذي يتنفسونه. كما أنها تشكل الأساس لكثير من الاقتصاد العالمي، ودعم القطاعات بدءاً من السياحة ومصايد الأسماك ووصولا إلى الشحن الدولي[١]. لذلك تمثل هذه المخازن جزءا مهما وأساسيًا من سلاسل التوريد (اللوجستيات) في العالم.

[١] موقع برنامج الأمم المتحدة للبيئة، رابط

يقول تعالى في سورة النحل:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

حجز البحار لخزنها عن بعضها لاختلاف المواصفات

يتم إنشاء الحاجز للحفظ، وعدم الاختلاط، لاختلاف مواصفات الأشياء المحجوزة عن بعضها البعض، كما أن الهدف من ملوحة المحيطات والبحار حفظ ما فيها من الفساد، وتعلم الإنسان من ذلك، فصار يحفظ بعض طعامه بتمليحه ليبقى مخزنًا لفترات زمنية أطول. يقول تعالى في سورة الفرقان:

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا

عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

السد

أخبرنا كتاب الله تعالى بأن الناس طلبوا من الرجل الصالح ذي القرنين أن يبني لهم سداً لتفادي أذى قوم يأجوج ومأجوج، فعلَّم الله تعالى ذلك الرجل كيف يبنيه، ومكّنه بالأسباب اللازمة، ثم تعلم الناس ذلك من بعده، يقول تعالى في سورة الكهف:

قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

وقد حجز هذا السد أولئك القوم وكأنهم في مخزن منفصلون، وهذا شبيه بالحاجز المائي الذي فصل بين البحرين.

الأنهار:

النَّهْر هو مجرى الماء الطبيعي الواسع ذو ضفتين يجري فيه الماء العذب الناتج عن هطول الأمطار أو المياه النابعة من عيون الأرض أو من مسطحات

مائية كالبحيرات. تمتد الأنهار ما بين المنبع والمصب، وقد يكون المصب محيطًا أو بحرًا أو بحيرةً[1].

أما أطول الأنهار في العالم فهي:

	النهر	الطول (كم)	الطول (ميل)	مساحة الصرف (كم²)
1	نهر النيل	6,650	4,135	3,349,000
2	نهر الأمازون	6,400	3,980	6,915,000
3	نهر اليانجستي (تشانغ جيانغ)	6,300	3,915	1,800,000

الماء مُخزّن في باطن الأرض: كالعيون والآبار

إذا سقط الماء من الغيوم والسحب نحو الأرض، تلقفته المحيطات والبحار لامتداد مساحاتها على سطح الكرة الأرضية، ومنه ما تتلقفه الجبال لأنها شاهقة مرتفعة، حيث ينحدر الماء بين جنباتها ليستقر في باطن الأرض على شكل ماء مخزون ثم يظهر على شكل ينابيع تلقائية، وقد يقوم البشر بحفر آبار لاستخراج ذلك الماء المخزون والاستفادة منه. وقد أشار القرآن للجب أو البئر حيث أُلقي فيه نبي الله يوسف عليه السلام، يقول تعالى في سورة يوسف:

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾

[1] موقع الويكيبيديا.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

إن هذه الخزانات المتبدلة بين السماء والأرض سواء في الجبال أو البحار أو الأنهار أو في باطنها، هي ينابيع وآبار تضمن للماء عدم تغير أكثر صفاته، فما خالط البحار والمحيطات أضحى مالحًا، وما خالط الأرض بقي عذبًا قابلاً للشرب دون معالجات إلا إن صادف بيئات متسخة، ثم يمكن تصفيته وتنقيته ليعود لصفاته وطعمه العذب ليكون قابلا للاستخدام البشري. يقول تعالى في سورة البقرة:

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾

وقد استسقى موسى عليه السلام ربه، فأوحى إليه لاستخدام عصاه فكانت معجزة انفجر إثرها إثنتا عشرة عينًا، يقول تعالى في سورة البقرة:

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

السفينة

السفن هي مخازن يُحمل الناس وأشياؤهم عليها لعبور السطوح المائية عمومًا، وقد أشار الله تعالى في سورة المؤمنون لهذا بقوله:

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

وكان عز وجلّ قد أوحى لنبيه نوح عليه السلام كيفية صنعها، يقول تعالى في سورة المؤمنون:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

وقد جعل الله الرياح طاقة محركة للسفن مهما كانت ضخامتها، وهي تحرك الغيوم والسحب العملاقة فتحركها وتنقلها كيفما يشاء سبحانه وتعالى، لتكون أداة نافعة ضمن سلسلة التوريد بين مصالح الناس عمومًا، يقول تعالى في سورة الفرقان:

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا
وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

المبحث الرابع - النبات والشجر أنموذجا

يختزن النبات والشجر في جذوره وسيقانه وأغصانه وورقه وثمره ما يأكله البشر والحيوان على حد سواء، ولا ينمو النبات والشجر إلا بتربة ينشأ فيها وماء يسقيه، وقد هيأ الله تعالى مخزن الأرض بالتربة وزودها بالماء – إن شاء –، لذلك كانت مخازن حية تنتقل بموجبها الحياة من مرحلة إلى مرحلة أخرى لتستمر عمارة الكون إلى أن يشاء الله. يقول تعالى في سورة المؤمنون:

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾

الشجر وثماره

خلق الله تعالى للشجر فوائد كثيرة فبها يستظل الإنسان وفيها يستمطر المطر، وبها يتم تنقية الجو، وبنتاجها يتغذى الإنسان سواء من جذورها أو ساقها أو ورقها أو ثمارها. وكل عضو من

أعضائها مخزن مصمم لتبقى هذه الشجرة مخزن طعام للناس ولحيواناتهم.

وقد خلق الله بعض الثمار بأغلفة تحافظ على جودتها حتى وصولها إلى مستهلكها الأخير، فها هو الجوز مثلا تنتجه أشجار الجوز الخضراء، ثمرتها محفوظة بغلاف نباتي أخضر إذا تم تقشيره ظهرت الجوزة بغلاف خشبي قاسٍ، فإذا تم كسره وصلنا إلى ثمرة الجوز الطازجة النافعة المفيدة للإنسان والتي جعل الله شكلها مشابها لدماغ الإنسان ليستدل على أن نفع هذا منصرف لهذا. ويستفاد أيضًا من خشبها وورقها وشجرها.

والشيء نفسه يُقال عن الموز واللوز والليمون والبرتقال وغيره من ثمار النباتات وثمار الأشجار التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

الغابات

تعتبر الغابات تجمعًا ضخمًا للأشجار، ويبدو هذا التجمع كمخزن ضخم يساعد في جلب الأمطار. وتغطي الغابات ٣١٪ من مساحة اليابسة في

العالم، وتخزِّن ما يقدر بحوالي ٢٩٦ غيغا طن من الكربون وهي موئل لغالبية التنوع البيولوجي البري في العالم[١].

وتجعل الغابات والأشجار الأرض مكاناً قابلاً للحياة. إذ توفر الهواء النقي والمياه النظيفة، وتتولى تخزين كميات ضخمة من الكربون وتلطيف المناخ، فتشكل بذلك دفاعاً بالغ الأهمية في مواجهة الاحترار العالمي. وهي موطنٌ لمعظم أنواع التنوع البيولوجي المذهل على كوكب الأرض، وتوفر الظل وسُبل الاستجمام والإحساس بالراحة؛ فضلاً عن دعم سُبل العيش لدى الملايين من الناس حول أنحاء العالم[٢].

الزرع مصدر غذاء

يشكل الزرع مصدر غذاء أساسي للإنسان وللحيوان أيضًا فهو مخزن حيّ وحيوي لا يفسد مُنتَجه بسبب طرق الحفظ والخزن التي خلقها الله، يقول تعالى في سورة النحل:

[١] موقع الويكيبيديا.
[٢] موقع برنامج الأمم المتحدة للبيئة، رابط.

يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

الزرع مصدر شراب

يشكل الزرع مصدر شراب للناس فمنه يتم صناعة العديد من المشروبات والمنتجات المفيدة، يقول تعالى في سورة النحل:

وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَومٍ يَعقِلُونَ ﴿٦٧﴾

الشجر طعام الحيوانات

كما أن الشجر وثمره هو غذاء أساسي للإنسان، فهو أيضًا غذاء أساسي للحيوانات التي هي بالنتيجة غذاء للإنسان، فهذه مخازن حيوية متحركة تنتقل المنافع عبرها تلقائيًا دون تدخل بشري، وإن تدخل الإنسان فلا ضير في ذلك، وقد يكون

تدخله حسنًا وقد يكون دون ذلك، يقول تعالى في سورة النحل:

هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

المبحث الخامس - الحيوانات أنموذجا

الحيوانات مخلوقات تختلف عن النباتات والأشجار في حركتها وتوالدها ونموها، وهي مصدر غني للإنسان وللحيوانات اللاحمة أيضًا. وهي أشبه بمخازن حيوية تبقى طازجة ما دامت حية، يستفاد من لحومها ووبرها وجلودها وأحشائها وألبانها فضلاً عن لحومها.

ويصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرع الأنعام بأنه خزانة وأنه مخزن مؤقت ريثما يصل محتواه إلى المستهلك النهائي، روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لاَ يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ امْرِئٍ بِغَيرِ إِذْنِهِ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تُؤْتَى مَشْرُبَتُهُ، فَتُكْسَرَ خِزَانَتُهُ، فَيُنْتَقَلَ طَعَامُهُ، فَإِنَّما تَخْزُنُ لهمْ ضُرُوعُ مَوَاشِيهِمْ أَطْعِمَاتِهِمْ، فلا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ**)[1].

الأنعام طعام

يعدُّ اللحم مصدراً غذائيًا أساسيًا للإنسان، كما هو حال اللبن، ويستفيد الإنسان من تصنيع الجلود والأمعاء وغيرها من أعضاء الحيوانات، يقول تعالى عن منافع الأنعام في سورة المؤمنون:

[1] صحيح البخاري

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

الأنعام مصدر للبن

يقول تعالى عن لبن الأنعام في سورة النحل:

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

فكيف يبقى سائغًا للشاربين إن لم يكن طازجًا دافئًا؟

لذلك فإن الأنعام هي مخزن يحوي مصنعًا متنقلاً يُقدم المنافع للإنسان عندما يريد ذلك.

الأنعام فيها مصادر الدفء

إن مما يستفاد من الأنعام صوفها ووبرها وجلدها، فقد خلقها الله تعالى لمنافع متعددة منها اللباس والدفء والأكل، يقول تعالى في سورة النحل:

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

النحل مصدر العسل وفيه شفاء

لقد أوحى الله للنحل أين تعيش ومن أين تعتاش وخلق لها مصانع في بطونها لإنتاج العسل وشمعه، يقول تعالى في سورة النحل:

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

إنها مصانع تحول رحيق الأزهار والورود إلى عسل لذيذ الطعم كثير الفوائد، يقول تعالى في سورة النحل:

ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

ويُعدُّ الشمع الذي تصنعه النحل في خليتها مخزنًا مؤقتًا لمنتجاتها من العسل، فإذا امتلأ قام صاحب المنحل بأخذه ليضعه في مخازن أخرى تجهيزاً لبيعه للمستهلك.

وهناك حيوانات كثيرة أوحى الله لها كالنمل[1] والنحل وغيرها، فمنها ما يُدَّخر نتاجه، ومنها ما لا يُدَّخر، ومنها ما يُدَّخر طعامه، ومنها ما لا يُدَّخر.

الأسماك في البحار والأنهار

تُعدُّ أحواض الأنهار والأبحر مخازن هائلة، تختزن ضمنها الثروة السمكية بكل أصنافها، والقشرية، والرخوية، والمرجانية،... الخ، وجميعها غذاء غنيٌّ للناس وللحيوان على حد سواء، ويضاف لها الملح.

تختزن ثروات استخراجية كالنفط والغاز وما شابههما وكثير من المعادن، والاسفنج، والمواد التجميلية، إضافة للزهور والنباتات الفريدة.

خلق الله البحار مخازن ومستودعات فأودع فيها ما لا يُحصى من الخيرات، يقول تعالى في سورة النحل:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

ويُستخرج من البحار اللؤلؤ والمرجان، يقول تعالى في سورة الرحمن:

[1] قدرت أكثر من ٥٠٠ دراسة حول العالم أن أعداد النمل يقدر بنحو ٢٠ كوادرليون (مليون مليار) نملة تجوب إرجاء المعمورة (نقلا عن National Geographic Magazine).

يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾

وغيرهما كثير مما يُستفاد منه.

المبحث السادس - الطعام أنموذجا

لا يمكن لإنسان أو حيوان أو نبات أن يعيش دون طعام أو ماء، وقد أوضحنا المخازن التي هيأها الله عز وجل لسقيا النبات والحيوان والإنسان، فالنبات بأشكاله هو طعام للإنسان ولبعض الحيوانات، بينما تشكل الحيوانات طعاماً إضافيًا للإنسان، وكذلك للحيوانات اللاحمة.

إن بقاء النبات والشجر والحيوان ضمن أصله – أي كما خلقه الله تعالى – يضمن توافر الطعام الحيِّ والطازج، وهذا البقاء الحيوي هو أشبه بمخزن حيّ، ومتحرك كحالة الحيوان، فكيف يتم حفظ الطعام؟

حفظ الطعام خارج المألوف البشري

ضرب الله مثلا عن رجل لم يذكر اسمه في القرآن الكريم وقد مرّ على قرية خاوية فتساءل عمن له أن يحييها، فقدم له الله تعالى التجربة على نفسه وحماره وطعامه وجعله يشهد بعض الإحياء، فقال الرجل بعد أن شهد عظمة خلق الله تعالى: أعلم أن الله على كل شيء قدير. ومن ضمن التجربة التي استغرقت مائة عام، كان حفظ الطعام والشراب والحمار آلة النقل والانتقال، وهذا إعجاز هدف إلى إثبات قدرة الله تعالى للناس الذين يُنكرون البعث بعد الموت. يقول تعالى في سورة البقرة:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

مخزن السنبلة

تعتبر سنبلة القمح أساس طعام الإنسان وقد ضرب بها الله مثلا، حيث أنبتت حبة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة مما يجعلها تتضاعف ٧٠٠ ضعف والله يضاعف لمن يشاء، فكانت الحبة عبارة عن مستودع مصغر، سرعان ما يتكاثر إلى نبات صالح للعطاء بمئات الأضعاف. يقول تعالى في سورة البقرة:

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

لقد ربط الله تعالى مَثَل تكاثر السنابل من حبة إلى سنبلة إلى سبع سنابل إلى مائة ثم يضاعف الله ما يشاء لمن يشاء، فهو واسع لا يُعجزه أن يُخرج الأضعاف المضاعفة من خزائنه وهو العليم الحكيم. رُبط ذلك التشبيه بالإنفاق في سبيل الله تعالى، حيث يسهل على الناس مشاهدة تكاثر السنابل حسيًا، وهذا مَثَلٌ لمضاعفة ما ينفقونه في سبيل الله أضعافًا مضاعفةً وعلى ذلك فليقيسوا وليسارعوا بالإنفاق في سبيله. وحيث أن سِمة السَعة من سمات الله تعالى لأنه الخالق، بينما سمة الإنسان التقتير لما يخشاه من نفاد مخزونه، قالى تعالى في سورة الإسراء:

قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠

وقد قدم يوسف عليه السلام مثلاً في تفسيره لرؤية الملك، فقدَّر عليه السلام أن أزمة ستمر بالبلاد، فأعطاهم الحل بتفسيره كما علمه الله تعالى في سورة يوسف:

وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ٦

وكان الحل أن يترك الحب في سنبله فتطول مدة خزنه ويحافظ على خصائصه، وقد قدرها بسبع سنين، فكان غلاف السنبلة مخزنًا يُراعي

شروط الاحتفاظ بما فيه سليمًا، يقول تعالى في سورة يوسف على لسان يوسف عليه السلام:

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾

التغليف والتعبئة

تحتاج السلع والمواد تغليفًا وتعبئة Packaging & Packing؛ كمرحلة أساسية للتسليم النهائي لضمان وصول المنتج إلى المستهلك سالمًا.

ويمكن ملاحظة التعبئة في أغلب الثمار والخضار حيث تحافظ تلك المنتجات على نضارتها وحلاوتها وجاذبيتها. مثال ذلك الحمضيات، فهي مغلقة تمامًا خلال تعلقها بالشجرة، ثم تكون ضمن غلاف يضمن تخزينها طازجة.

(إن القشرة هي جزء من الثمرة التي تشكل الطبقة الخارجية في تشريح الفاكهة والتي تحيط بالبذرة، وهو يحمي البذور أثناء مراحل نموها ويساعد في تشتت البذور، ويشير غلاف الثمرة إلى جدار الفاكهة. أما طبقات القشرة فهي:

١– قشرة الثمرة: وهي الطبقة الخارجية وتشكل القشر، حيث تمثل الغطاء الخارجي للقشرة التي تشكل الغطاء الخارجي، ويشير إلى الأنسجة الخارجية المتمايزة والرقيقة والصعبة التي تشكل قشرة الفاكهة أو قشرها.

٢– الطبقة الوسطى واللحم والجزء الصالح للأكل من الثمار، ويمثل طبقة وسيطة للطبقة الخارجية وللطبقة الداخلية التي تشكل بدورها اللحمة،

ويشير إلى الطبقة الوسطى المتمايزة أو اللحمية أو الجافة من الأنسجة التي تشكل عمومًا الجزء الصالح للأكل من الفاكهة، فعلى سبيل المثال يشكل الطبقة الوسطى معظم الأجزاء الصالحة للأكل في الفواكه مثل نبات الخوخ ونبات الطماطم وما إلى ذلك. وتسمى الطبقة الوسطى البياض أو اللب، ويحتاج المرء لفصل طبقة اللب قبل الأكل، وتتم معالجة القشرة الداخلية أو القشرة الوسطى لأنواع الحمضيات لصنع العصارة.

٣- الطبقة الداخلية والجزء الخشبي الداخلي حيث يتم وضع البذور، ويمثل الغطاء الأعمق من القشرة الذي يحيط بالبذرة مباشرة، وفي ثمار الحمضيات تعتبر الطبقة الداخلية هو الجزء الوحيد المستهلك والمقسّم إلى بعض الأقسام التي تسمى شرائح، ويتم دمج حويصلات العصير بإحكام داخل هذه الأجزاء التي تحتوي على عصائر الفاكهة.

على العكس من ذلك فإن القشرة الداخلية سميكة وقاسية بالنسبة للفاكهة ذات النواة مثل الخوخ والمشمش، وفي الفواكه الجافة يمثل الغلاف الصلب الذي يحوي نواة البقان والجوز التي يجب فصلها قبل الاستهلاك. في بعض الأحيان يصعب تمييز كل هذه الطبقات في بعض الفواكه حيث لا يمكن ملاحظة سوى عدد قليل من صفوف الخلايا، فعلى سبيل المثال في الفواكه السمينة مثل البرتقال يشكل كل من قشرة الثمرة والطبقة

الوسطى جزء القشر، بينما لا يمكن تحديد طبقات القشرة بشكل واضح في الفواكه الجافة)[1] .

(تختزن فاكهة البرتقال فيتامين (سي) الذي يساعد على امتصاص الكالسيوم في الجسم، ويحتوي فيتامين (أ) كما أنه مصدر للصوديوم، البوتاسيوم، المغنيسيوم، النحاس، الكبريت والكلورين. ويعد من الأطعمة التي تشكل القلويات حيث يخلف وراءه المادة القلوية في الأنسجة وبعدها يتم استغلاله وهذا ما يدفع إلى تحسين مقاومة الجسم ورفع فعاليتها)[2]، وضمن سلسلة التوريد الموضحة آنفًا تصل هذه الفيتامينات إلى أجسام الناس صالحة ومفيدة وتغنيها عن الدواء، وهذا ما يجعل الموارد البشرية نافعة وعاملة في الاقتصاد.

لقد حقق تغليف البرتقال – في المثال أعلاه – هدفين أساسيّين؛ الأول حماية المنتج من الضّرر، والثاني جذب المستهلك من خلال التصميم الجذّاب للغلاف وهذا ما يثير شهيته ويجعله في سعادة ونشوة.

هكذا هو حال المنتجات الزراعية والحيوانية التي خلقها الله تعالى للناس، جميلة الألوان، بهية الأشكال، محمية من الضرر أثناء المناولة، حتى تصل

[1] موقع أي عربي، أجزاء وأنواع الفاكهة، رابط، بتصرف.
[2] موقع ويكبيديا، رابط

إلى مستهلكها النهائي، مع المحافظة على نكهتها وطعمها وجاذبيتها، يقول تعالى في سورة المؤمنون:

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

المبحث السابع - البيوت أنموذجا

البيوت والمنازل بشتى أشكالها، هي مستودعات يأوي إليها الإنسان كما الحيوان لتقيه المخاطر فتحفظه من البرد والحر والمطر وينام فيها آمنًا، فمن الناس من سَكَن المغارات والجبال والأنفاق، ومنهم من شيّد العمران، ومنهم من كفته خيمة شَعر أو صوف في الصحراء.

البيوت مخازن

لقد شرّع الله تعالى للناس أحكام العيش في المنازل والبيوت، فرفع الحرج عن البعض وكلّف البعض الآخر بأحكام تخصهم.

وقد جعل حيازة مفاتيح البيوت ضابطًا لبعض الأحكام التشريعية، كما أوصى بقواعد سلوكية تحقق مزيداً من الأخلاق والفضيلة. يقول تعالى في سورة النور:

لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ

بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا
فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً
طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

فإن كانت البيوت غير مسكونة وكان فيها متاع مملوكة، فيحق لصاحبها أن يدخلها، يقول تعالى في سورة النور:

لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ
لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

مخزن الكهف

أشار القرآن الكريم في قصة أهل الكهف إلى سكنى الكهوف، فكانت إعجازاً يُتلى حتى قيام الساعة، يقول تعالى في سورة الكهف:

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

وقد سكنه أولئك الفتية ٣٠٩ سنة، وفق شروط ضمنت لهم الحياة كما أرادها خالقهم، لذلك يسعى الناس لبناء البيوت التي تدخلها الشمس

لتبقى معقمة نظيفة يتخللها النور خلال النهار، كما أوضحت ذلك الآية الكريمة في سورة الكهف:

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

وتضمن البيوت لقاطنيها بعض الأمن والسكينة حتى لأولئك الفتية الذين سكنوا الكهف، يقول تعالى في سورة الكهف:

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

الادخار في البيوت

إن الادخار في البيوت غايته تخزين المواد الأولية القابلة للتخزين لفترات قد لا يتوافر فيها الطعام أو يصعب تدبيره، وكذلك تخزين الأطعمة الجاهزة ونصف الجاهزة. ومن معجزات نبي الله عيسى عليه السلام إخبار الناس بما يدخرونه في بيوتهم، يقول تعالى في سورة آل عمران:

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

الادخار يكون لعون المدّخر ولغيره

حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المضّحين بتوزيع لحوم أضاحيهم ليستفيد منها المحتاجون، ولا بأس بادخار ما فضل منها في البيوت لتكون عونًا لما يليها من أيام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَن ضَحَّى منكُم فلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثالثَةٍ وبَقِيَ في بَيْتِه منه شيءٌ فَلَمَّا كانَ العامُ المُقْبِلُ، قالوا: يا رَسولَ اللَّه، نَفْعَلُ كما فَعَلْنا عامَ الماضِي؟ قالَ: كُلُوا وأَطْعِمُوا وادَّخِرُوا، فإنَّ ذلكَ العامَ كانَ بالنَّاسِ جَهْدٌ، فأرَدْتُ أنْ تُعِينُوا فيها**)[1].

[1] صحيح البخاري

وكأن الادخار منهي عنه عند حاجة الناس، فالأصل الإعانة، وهو مندوب مع السَعَة، لأنه وسيلة مفيدة في جدولة الموارد، وقد فعلها يوسف عليه السلام في خطته السبعية المقترحة كما أشرنا سابقًا.

تحقيق الحد الأدنى للإشباع ضرورة

إن توفير الحد الأدنى للادخار ضرورة وخاصة في أوقات الأزمات، وقد ربَّى الإسلام المسلمين على القناعة والإيثار، وعلَّمهم آداب الطعام، وبيَّن ما يجوز للإنسان في حقِّ نفسه، وما يجوز في حقِّ غيره إذا أكل معه.

(كانَ ابنُ الزُّبَيْرِ يَرْزُقُنَا التَّمْرَ، قالَ: وَقَدْ كانَ أَصَابَ النَّاسَ يَومَئذٍ جَهْدٌ، وَكُنَّا نَأْكُلُ فَيَمُرُّ عَلَيْنَا ابنُ عُمَرَ وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فيَقولُ: لا تُقَارِنُوا فإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الإقْرَانِ، إلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ. وفي رواية: بهذا الإسْنَادِ، وَليسَ في حَديثِهِما قَوْلُ شُعْبَةَ، وَلَا قَوْلُهُ: وَقَدْ كانَ أَصَابَ النَّاسَ يَومَئذٍ جَهْدٌ)[1].

يحكي جَبَلَةُ بنُ سُحَيمٍ في هذا الحديثِ: أنَّهم كانوا بالمدينةِ ومعهم بَعضٌ مِن أهْلِ العِراقِ، فأصابَهُم سَنَةٌ، أي: غَلاءٌ وجَدْبٌ، فكان عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ رَضيَ اللهُ عنهما يُطعِمُهم التَّمرَ، وكان عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنهما يَمُرُّ بهم وهمْ يأكُلونَه، فيُخبِرُهم أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه

[1] صحيح مسلم

وسلَّمَ نَهى عنِ الإِقرانِ، وهو أنْ تُقرَنَ تَمْرةٌ بتَمرةٍ يَضَعُهما في فَمِه ويَأكُلُهما معًا، وذلك في حالةِ كَونِه يَأكُلُ مع آخَرَ والطَّعامُ قَليلٌ، يُريدُ بذلك أنْ يَغلِبَ على أكثَرِ الطَّعامِ، وهذا فيه إجْحافٌ برَفيقِه، معَ ما فيه مِن الشَّرَهِ المُزْري بصاحبِه، والدَّالِّ على خِسَّةِ نفْسِه، إلَّا أنْ يَستأذِنَ الرَّجلُ أخاهُ؛ لكونِه على عُجالةٍ مِن أمْرِه ويُريدُ أنْ يَنصرِفَ مَثلاً، فيَأْذَنَ له مَن يَأكُلُ معه، فإنَّه يَجوزُ؛ لأنَّه حَقُّه، فله إسقاطُه، وذلك ليَعلَمَ الإِنسانُ أنَّه كما أنَّ له حقًّا في الطَّعامِ، فللَّذي يَأكُلُ معه – أيضًا – حقٌّ في الطَّعامِ[1].

وتعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهد البلاء، روى أبو هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (**كانَ يَتعَوَّذُ مِن سُوءِ القَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ البَلَاءِ**)[2].

وجَهْدُ البَلاءِ[3]، وهو: أَقْصَى ما يَبلُغه الابتلاءُ وهو الامتِحان، وذلك بأنْ يُصابَ حتَّى يَتمنَّى الموتَ، وقِيلَ: إنَّه الفَقْرُ مع كثرةِ العِيَال.

وروى أبو هريرة رضي الله، أنه قال: يا رسولَ اللهِ أيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: (**جَهْدُ الْمُقِلِّ وابدأْ بمنْ تعولُ**)[4].

---

[1] موقع الدرر السنية، رابط.
[2] صحيح مسلم
[3] موقع الدرر السنية، رابط.
[4] سنن أبي داود

والجُهْدُ هو الوُسْعُ والطَّاقةُ، أو المشَقَّةُ والغايَةُ، والمُقِلُّ: الفقيرُ الَّذي معَه شَيءٌ قَليلٌ مِن المالِ، والمعنى: إنَّ أفضَلَ الصَّدَقةِ هو الَّذي يتَصَدَّقُ به الفقيرُ قليلُ المالِ على قَدْرِ طاقتِهِ ووُسْعِه مع مَشَقَّةِ ذلك عليه[1].

الاقتصاد في أكل الطعام

علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم التكافل في أوقات الأزمات الشديدة؛ كحال الغلاء والتضخم والقحط، فروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**طَعامُ الواحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وطَعامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأرْبَعَةَ**)[2].

وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه غلا السِّعرُ بالمدينة، واشتدَّ الجَهدُ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (**اصبروا وأبشِروا فإنِّي قد باركتُ على صاعِكم ومُدِّكم وكُلوا ولا تتفرَّقوا فإنَّ طعامَ الواحدِ يكفي الاثنين وطعامَ الاثنين يكفي الأربعةَ وطعامَ الأربعةِ يكفي الخمسةَ والسِّتَّةَ وإنَّ البركةَ في الجماعةِ فمن صبَر على لأْوائِها وشِدَّتِها كنتُ له شفيعًا وشهيدًا يومَ القيامةِ ومن خرج عنها رغبةً عمَّا فيها أبدل اللهُ به**

[1] موقع الدرر السنية، رابط.
[2] صحيح مسلم

من هو خيرٌ منه فيها ومن أرادها بسوءٍ أذابه اللهُ كما يذوبُ المِلحُ في الماءِ)[1] .

[1] سنن ابن ماجه

المبحث الثامن - الإنسان أنموذجا

الإنسان هو غاية الحياة ومركزها وهو خليفة الله في الأرض، سخّر الله له كل الكون، وأمره بإعماره بعبادته إلهًا واحدًا، وهيّأ له كل ما تم ذكره آنفًا، فخلق له كل شيء بشكل موزون، يقول تعالى في سورة الحجر:

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾

ثم ظهر الفساد بفعل المفسدين، يقول تعالى في سورة الروم:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

وأعلم الله الناس بأنه لا يُصلح عمل المفسدين، يقول تعالى في سورة يونس:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾

وقال أيضًا بأنه لا يصلح المفسدين في سورة هود:

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

مستودع الذاكرة

جعل الله تعالى للإنسان ذاكرةً يُخزِّن فيه معلوماته من الصور والأسماء وغير ذلك، فالذاكرة أداة التعلّم، وقد علّم الله نبيه آدم عليه السلام وهو الإنسان الأول، كل ما يلزمه في هذه الحياة من صور وأسماء وأشكال وألوان، فيقول تعالى في سورة البقرة:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

وبعد أن علَّم آدم عليه السلام ذلك صار بإمكانه تداولها والتعامل بها، لذلك أنبأ الملائكة بأسمائهم عندما طلب الله تعالى منه ذلك، يقول تعالى في سورة البقرة:

قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

وحول أساليب تخزين المخ وتقنياته في تنظيمه للذاكرة، نستعرض المثال التالي[1]: يحتوي المخ ١٠٠ مليار عصبون تقريباً، يربط بينها نحو تريليون مَشبك في كل واحد سنتيمتر مكعب.

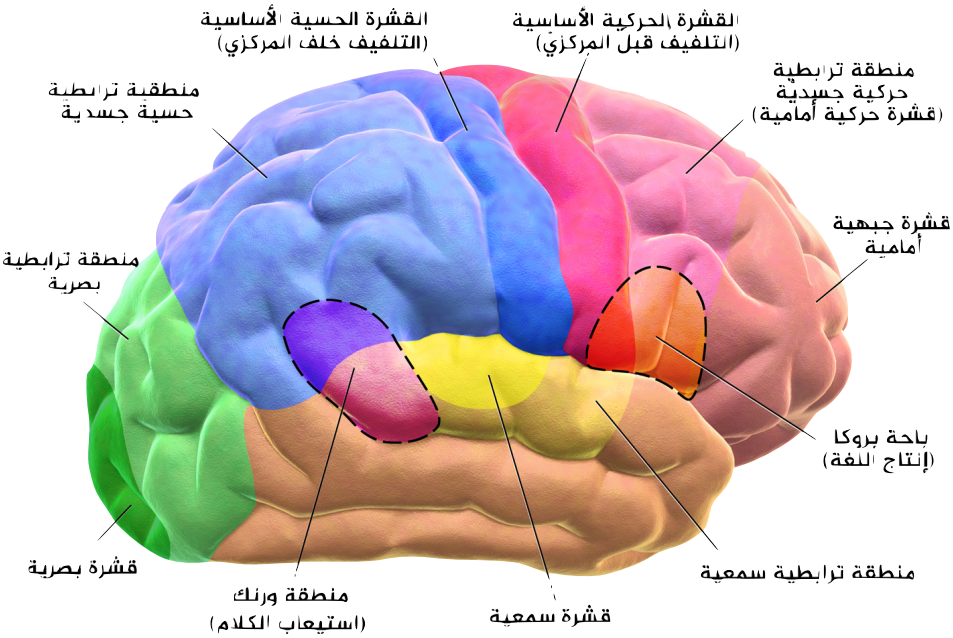

مصدر الصورة: الويكيبيديا رابط

أ. **المرونة العصبية**: يمكن تعديل الارتباطات (المشابك) بين العصبونات، لتغيير سعة الجهاز العصبي كاستجابة لنشاط تلك العصبونات؛ أي تُقوى الارتباطات بين العصبونات أو تضعف حسب درجة النشاط بينها.

ب. **الذاكرة والتعلم**: يتم تنظيم الذاكرة في الدماغ على ثلاث مراحل:

[1] علم الأحياء، للصف الثالث الثانوي، وزارة التربية السورية، ٢٠٢١-٢٠٢٢، ص ٥٤.

- الذاكرة الحسية: تسجل الانطباعات التي تستقبلها الحواس، وتستمر أجزاء من الثانية، كما هو الحال عند النظر لجسم ما، ومن ثم نغلق عيوننا فنلاحظ بقاء الانطباع لمدة قصيرة جداً.
- الذاكرة القصيرة الأمد: تستمر حتى ٢٠ ثانية أو أكثر، يمكن أن تزول أو تتحول إلى ذاكرة طويلة الأمد. كما هي الحال عندما نحفظ رقم هاتف ما ثم ننساه بعد أن نستخدمه لمرة واحدة.
- الذاكرة الطويلة الأمد: تستمر لمدة طويلة جداً، وسعتها غير محدودة، وتبقى راسخة مدى الحياة وتقاوم الضمور والاضمحلال بدرجة عالية. مثالها: تذكر عنوان منزلك القديم، أو قيادة الدراجة.

الأساس البيولوجي لتشكل عمليتي التعلم والذاكرة:

تعّد المرونة العصبية أساسية في تشكل الذكريات، لأن الذاكرتين الطويلة الأمد والقصيرة الأمد تنشأان عند المشابك؛ إذ تتشكل مشابك مؤقتة في تلفيف الحُصين في أثناء الذاكرة القصيرة الأمد، بينما تتحول إلى روابط (مشابك) دائمة في القشرة المخية في الذاكرة طويلة الأمد، ويُعتقد بأن ذلك يحدث في أثناء النوم؛ ممّا يؤكد أهمية النوم في تشكل الذكريات. ويعّد تلفيف الحصين ضرورياً لتخزين الذكريات الجديدة الطويلة الأمد لكن ليس للاحتفاظ بها. ويؤكد ذلك أن الأشخاص الذين يعانون من

تضرر في تلفيف الحصين؛ لا يستطيعون تشكيل ذكريات جديدة دائمة، ويتذكرون الأحداث التي جرت قبل إصابتهم.

مستودع الرحم

جعل الله تعالى للأنثى رَحِمًا، لتحمل فيه أطفالها، ثم بالولادة يكون إنسانًا.

هذا الرحم هو مستودع يتم فيه تربية الجنين ونموه حتى يصبح جاهزًا كطفل مهيأً للعيش في مخزن الحياة، يقول تعالى في سورة البقرة:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

المصدر: الجزيرة نت، رابط

ويعلم الله تعالى أحوال هذا الجنين وهو في مستودع رَحمه، ويعلم نموه لأن كل شيء عنده منضبط بمقدار. يقول تعالى في سورة الرعد:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾

ثم ما إن تلد الأنثى مولودها يُسارع الحليب للتجمع في ثدييها وكأنه مصنع حليب طازج يضخ للوليد حاجته من الغذاء الكامل عند حاجته وبمجرد أن يلتقط ثدي أمه، يدرّ عليه حليب دافئ لذيذ الطعم والمذاق.

وكل ما سبق سلسلة توريد متكاملة آلية، لا خطأ فيها ولا نقصان، تعمل دون وجع للأم بل تُشعرها بحنان وعطف يغلفهما سعادة ليس بعدها سعادة، والأمهات أفضل من يتكلم عن هذا الشعور.

فإذا انتهى الرضاع وفُطم الطفل توقف مصنع الحليب وعادت الأعضاء فيزيولوجيا لحالتها الطبيعية، لتعود للعمل ثانية عند تكرار عملية الحمل.

مستودع النفس ومستقرها

محتويات المستودعات تكون مرمزة ومرقمة، وتكون أماكن وجودها محددة، والوصول إليها سهل ومباشر لأنها معنونة، وكذلك هو حال الناس في هذه الأرض. يقول تعالى في سورة هود:

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

أي لقد تكفَّل الله برزق جميع ما دبَّ على وجه الأرض، تفضلا منه، وهو يعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك[1].

[1] التفسير الميسر

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: المستقر أرحام الأمهات، والمستودع المكان الذي تموت فيه، وقال عطاء: المستقر: أرحام الأمهات والمستودع: أصلاب الآباء[1]. وقال تعالى في سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

إن جميع ما ذُكر هي مخازن مؤقتة يتنقل حال الإنسان بينها منذ أن خلق الله الأرض حتى يستقر كل شي إما إلى جنة أو إلى نار.

وقيل: المستقر الجنة أو النار، والمستودع القبر، لقوله تعالى في صفة النار في سورة الفرقان:

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

وقوله تعالى في سورة الفرقان في صفة الجنة:

خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

[1] رواه سعيد بن جبير، وعلي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس

أنظمة التخزين في جسم الإنسان

إن للبشر وللحيوانات وللنبات أنظمة تخزينية تخصها، فعند الإنسان والحيوان تكون المعدة مخزنًا آنيًا ريثما يتم هضم الطعام، ثم تكون رحلة الطعام حيث يتنقل من مخزن لآخر، فيأخذ كل عضو من الجسم حاجته منه، والباقي يكون فضلات صلبة تتجمع في الأمعاء الدقيقة والغليظة خروجًا من الجسم، أما الفضلات السائلة فتتجمع في مخزن المثانة ليتم تفريغها دوريًا. وإن أي خلل في دورات الجسم سواء الهوائية أو الدموية أو الغذائية أو السائلة فإن أمراضًا ستصيبه ويحتاج لعلاجات ليعود إلى نشاطه. ويبقى ذلك مستمرا ما كتب الله لهذا الكائن الحياة.

والمخازن الحية بمختلف صنوفها مزودة بأنظمة ذكية لتحديد إعادة الطلب بشكل إنذارات، فالمثانة إذا امتلأت أرسلت للدماغ ما يُنبئ بحاجتها للتفريغ، تحفّزها بإشارات عصبية، كذلك إذا جاع الإنسان أفرز هرمون يُشعره بالجوع، ثم ما يلبث أن تنخفض مستوياته في الدم بعد الأكل مباشرةً. وكذلك في الجسم إنزيمات تعمل كمحفِّزات بيولوجية، تسرِّعُ التفاعلات الكيميائية.

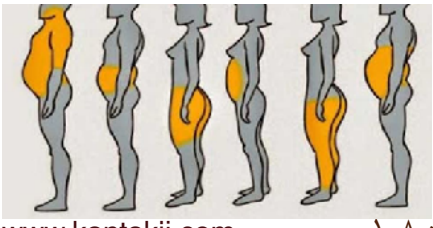

ويسيطر على الدهون نظام خاص في الجسم، حيث تعتبر الدهون مخزنًا

استراتيجيًا مهمًا؛ فهي مخازن تتوضع في خلايا جسم الكائنات الحية.

وتعدُّ[1] الدهون استرات إحدى الأحماض الدهنية مع الجلسرين، وغالباً ما تتكوّن الدهون التي نتناولها من سلاسل الكربون المحتوية على أربع ذرّات من الكربون أو على عشرين ذرّة كحدٍ أعلى، ومن الاعتقادات الخاطئة المنتشرة بين الناس أن الدهون ضارة وليس لها فوائد وإنما تسبب الأمراض، لكنّ الحقيقة هي أنّ الدهون من المصادر الضرورية لجسم الإنسان وصحّته، وللتمتّع بفوائدها وتلافي أضرارها يجب تناولها بالقدر المسموح به دون إفراط أو تفريط، واختيار النوع الجيد منها.

أما عن أهمية الدهون فهي:

- مصدر أساسي للطاقة في جسم الكائنات الحية.
- هامّة لصناعة الكثير من الهرمونات، مثل: التستوستيرون.
- هامّة لامتصاص الفيتامينات الذائبة في الدهون، مثل: فيتامين أ، د، هـ، ك.
- تنظيم عملية التمثيل الغذائي المعروفة بالأيض، وتنظيم درجة حرارة الجسم.
- الحد من ألم المفاصل.

[1] ما أهمية الدهون في خلايا وجسم الكائنات الحية، موقع موضوع، رابط.

- وقاية الأعضاء الداخلية للجسم.
- تعزيز صحة الجلد والشعر.
- تعزيز صحة الدماغ، وتطوّر نموّه عند الأطفال.
- تقليل الشعور بالاكتئاب.
- تنظيم معدّل السكر في الدم.

أما مصادر الدهون فهي:

- الدهون الحيوانية: اللحوم الحمراء، والدواجن، والحليب ومشتقاته، والزبدة، وصفار البيض.
- الدهون النباتية: الزيتون، والذرة، والقطن، والأفوكادو، وزيوت الكانولا، وزبدة الفول السوداني (الفستق السوداني)، والسمسم، وفول الصويا، ودوّار الشمس، والمكسرات كالجوز واللوز..

أما أنواع الدهون فهي:

- الدهون الأحادية غير المشبعة: وهذه هي الدهون الجيدة، وتتوفّر في المصادر النباتية، وتتميزّ بأنّها سائلة في درجة حرارة الغرفة.

- الدهون المتعددة غير المشبعة: وهي تشمل الأوميغا ٣، والأحماض الدهنية، وهي موجودة في الزيوت النباتية، مثل: القرطم، ودوّار الشمس، والذرة، والكتّان والكانولا، كما توجد في المأكولات البحرية، وهذه الدهون قد تكون سائلة أو صلبة في درجة حرارة الغرفة، وتعدّ ضرورية لبناء جدران خلايا الجسم والهرمونات.
- الدهون المشبعة: وتتوفّر غالباً في المنتجات الحيوانية، كما توجد في بعض المنتجات النباتية، مثل: زيت جوز الهند، والنخيل، ولبّ النخيل، وهذه الدهون تكون صلبة في درجة حرارة الغرفة.
- الدهون المتحوّلة أو المهدرجة: وهي الناتجة عن هدرجة الزيوت النباتية غير المشبعة، حيث تنتج عن هذه العملية دهون صلبة أكثر استقراراً بسبب إضافة ذرّات الهيدروجين لها، وتشمل هذه الدهون: الزبد النباتي والسمن النباتي، وتتوفّر في الكعك، والفطائر والمقليات.

أما عن حاجة الجسم من الدهون:

يحتاج الجسم إلى الدهون بنسبة ٣٠٪ كحدٍ أعلى من احتياج الجسم للسعرات الحرارية، ١٠٪ منها دهون مشبعة، و ٢٠٪ دهون غير مشبعة، فإذا كان الجسم يحتاج ٢٠٠٠ سعرة حرارية، فسيحتاج ٦٠٠ سعرة

حرارية من الدهون يومياً على الأكثر. علمًا أن كل ١٠٠ غرام من الدهون تنتج ٩٠٠ سعرة حرارية.

القبر

بعد انتهاء عمر الإنسان الذي قدّره الله تعالى له، يموت ويدفن في الأرض، لتتحلل جثته إلى عناصر تعود للأرض دون أية أذية للبيئة، فكما أن خلق الإنسان كان من تراب وماء فإنه بالموت والدفن يعود لما كان عليه.

وهذا هو حال كل منتجات الكون، كلما فنى منتج، عاد لمادته الأولية، دون أن يترك خلفه نفايات ضارة، وهذه ميزة المخازن الحيوية التي يجب أن تكون في كل مخزن يتضمن مراحل إنتاجية.

ويمكن النظر للقبر على أنه مخزن للجثة، فمنها ما يبلى، ومنها ما لا يبلى، كأجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء، وتطول فترة المكوث في القبر حتى قيام الساعة والتي لا يعلم أوانها إلا الله تعالى.

الفصل الثالث - القيمة كمستودع

لا يعتبر النقد نقداً إلا إن اتصف بقابلية التخزين، أي خزنه للقيمة، وإمكانية تخزينه أيضًا. وقد خلق الله تعالى الثمنية خِلْقَة في معدني الذهب والفضة، فلا تبلى القيمة عنهما مهما حصل ومهما تغالبت عليهما الظروف والأيام. وقد ذُكرت الفضة بأسماء مختلفة كالورِق والدرهم، بينما ذُكر الذهب باسم الدنانير.

وبما أن النقد مخزن للقيم، إذًا هو يصلح للتبادل بغيره بوصفه ثمنًا أو بنفسه صرفًا. فيمتاز الذهب والفضة بكون صلاحيتهما لا تنتهي، لذلك فإن عمليات التخزين لا يفسد طبيعتها كما لا يفسد قيمتهما إلا بشكل نسبي.

الورِق

ورد ذكر الورق في قصة أصحاب الكهف والتي تعود لعام ٢٥١ ميلادي، بعدما ناموا ٣٠٩ سنوات في الكهف، فقال أحدهم: ابعثوا أحدكم بورقكم، ويستدل من ذلك على أن الفضة التي كانت بحوزتهم حافظت على ثمنيتها رغم فترة انقطاعهم الطويلة عن الناس. يقول تعالى في سورة الكهف:

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم
بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾

المال النقدي والسلعي

ذكرت الآية ١٤ من سورة آل عمران أصناف السلع التي اعتبرها الناس في مختلف أزمانهم على أنها ثمينة لما تختزنه من قيمة معتبرة؛ كالقناطير من الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث، يقول تعالى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾

الذهب والفضة

الذهب والفضة معدنان ثمنيان خلق الله تعالى فيهما الثمنية خِلقةً، وهما قابلان للاكتناز، لأن القيمة فيهما معتبرة مخزنة على مر الأيام والليالي

وقد تعارف الناس عبر التاريخ على الاعتراف بقيمتهما، فهما مخزنًا للقيم، يقول تعالى في سورة التوبة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

الدينار والدرهم

ورد ذكر الدينار والدرهم، ومن ذلك الآية ٧٥ من سورة آل عمران، حيث أوضحت الآية دور الرقابة في التعامل النقدي فالسداد يحتاج من يقوم عليه ويراقبه حتى لا تضيع الحقوق خاصة عندما تفقد الناس الذمم وتضيع قيمها الأخلاقية. يقول تعالى:

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

البضاعة

ذكر الله تعالى البضاعة للدِلالة على ما فيه قيمة معتبرة، فلما وجد المسافرون يوسف عليه السلام في الجب، اعتبروه كسبًا ذا قيمة لأنه يُباع ويُشترى وهذا قائم بين الناس إذا صار الإنسان عبدًا مملوكًا لغيره، يقول تعالى في سورة يوسف:

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

كما عبّر إخوة يوسف عليه السلام عندما لم يعرفوه بأنه أخوهم، فاشتكوا إليه ليزيدهم في العطاء حيث أصابتهم وقومهم القحط والجدب، فعبروا عن بضاعتهم الرديئة بأنها ثمن رديء قليل، وطلبوا أن يعطيهم ما هو أفضل وأحسن، بأن يتصدَّقْ عليهم بقبض الدراهم المزجاة وأن يتجوَّز فيها، فالله تعالى يُثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم[1]، وكان يوسف عليه السلام حينئذ عزيز مصر، يقول تعالى في سورة يوسف:

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي

[1] التفسير الميسر، بتصرف

ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

الخاتمة

أرشد الله تعالى الناس أن يتعرفوا عليه من مخلوقاته بما في ذلك أنفسهم، فقال لهم في سورة الغاشية:

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

ويقول تعالى في سورة الذاريات أيضاً:

وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

وقد نظرنا في كتابنا الذي بين أيدينا إلى عظمة الخالق عزّ وجلّ من زاوية نظام المخازن الذي أحكمه على مخلوقاته من بداية الأمر حتى نهايته حسبما أعلمنا سبحانه وتعالى، فقد نقلهم، ونقل مواردهم من حال إلى حال بإحكام وإعجاز مبهر.

إن مفهوم المخازن النامية المتحركة لم يعهده إنسان، كما هو حاله في خلق الله تعالى، وكذلك صفات الخازن، وإن عملية التخزين هي عملية وسيطة تسبق الاستهلاك الوسيط والنهائي، وقد تعرضنا في بحثنا هذا إلى نماذج

كونية للمخازن؛ كالأرض، والسماء، والماء، والنبات والشجر، والحيوانات، والطعام، والبيوت، والإنسان وأخيراً القيمة كمستودع، وكل ذلك نماذج لحالات أكثر تنوعاً.

وإن في ذلك لعبرة لمن أراد أن يعتبر، فيَلزم الحق ولا يُشطط.

تم بحمد الله تعالى في حماة (حماها الله)

بتاريخ ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ والموافق ١١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٢ م

وكتبه الفقير إلى الله / **سامر مظهر قنطقجي**

KIE Publication